الفصل الثالث

العلم والتعليم فى نظر الاسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

الدين الاسلامى يأمر بتعميم التعليم

ان الدين الاسلامى دين علم ونور لادين جهالة وظلمة فأول آية نزل بها الوحى فيها أمر للرسول بالقراءة وتكرير لذلك الامر وتنويه بشأن العلم والتعليم نلمسه فى اسناد التعليم الى الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم) .

وقوله تعالى مخاطبا نبيه محمد (صلعم) : « وقل رب زدنى علما » وقوله: «شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط» فبدأ عز وجل بنفسه ثم ثنى بالملائكة ، ثم ثلث بأهل العلم ، وناهيك بهذا شرفا وفضلا ونبلا . وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون » أى ولا يفهمها الا العلماء المثقفون . وفى مواطن كثيرة نوه القرآن الكريم بشأن العلماء وما لهم من منزلة رفيعة ومكانة سامية فقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات » ، فالعلم مقدس فى نظر الاسلام وهو أسمى شىء فى الحياة لدى المسلمين وللعلماء العاملين منزلة فى الاسلام تلى منزلة الانبياء . قال الرسول الكريم : (العلماء ورثة الانبياء) فرتبة العلماء تلى رتبة الانبياء ، وقد قيل أن العلماء يشفعون للناس يوم القيامة بعد الانبياء ، قال صلى الله عليه وسلم : (ان مداد العلماء لخير من دماء الشهداء) .

وقد دعا الرسول الكريم الى التعليم وأوجبه فقال : (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) . ولم يفرق الاسلام فى طلب العلم بين الابناء والبنات فقد قال رسول الله : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) من غير تفرقة بينهما . فالدين الاسلامى يطالب المسلم والمسلمة بالتعلم وطلب العلم والعمل به ، والاجتهاد فى نشره . ولم يقف الاسلام عند الدعوة الى نشر العلم والتعليم فحسب ، بل دعا الى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم والبحث والاطلاع فقال الرسول : (لايزال الرجل عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل) . وقال : (يستغفر للعالم مافى السموات والارض) : قال الغزالى تعليقا على هذا الحديث وأى منصب

يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له ؟ فالعالم مشغول بنفسه والملائكة مشغولون بالاستغفار له .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يشجع التعليم بعمله وقوله فقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفار اذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة حرصا منه صلى الله عليه وسلم على ذيوع التعليم ونشره بين جمهرة المسلمين . ولم يفته أن يعطى المرأة حظها ونصيبها فى تعليم القراءة والكتابة فقد سأل الشفاء العدوية أن تقوم بتعليم زوجه السيدة حفصة القراءة والكتابة ضاربا بذلك أحسن الأمثال لأمته فى وجوب تعليم الفتيات .

وقد خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ، ويرغبون اليه ، وفى الثانى جماعة يعلمون الناس فقال : (اما هؤلاء فيسألون الله فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم ، واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما » ثم عدل اليهم وجلس معهم وبذلك ضرب النبى لنا خير مثل فى تشجيع العلم ونشر التعليم والاشادة بفضل المعلمين . وحسبك أن تعلم أن العلم فى نظر الرسول الكريم قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم) وقال أيضا . (الناس رجلان : عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما) . وقال صلى الله عليه وسلم : (لموت قبيلة أيسر من موت عالم) . وقال : (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) . وقال : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) . وقال : (تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة) . وكلها أحاديث تشيد بفضل العلماء العاملين وتحث على طلب العلم وتدل على ان الاسلام يطالب بالتعليم ونشر العلم والتخلص من الجهل والأمية .

وفى الاثر : أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لكميل : ياكميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال أيضا : العالم افضل من الصائم القائم المجاهد وقال نظما :

ما الفخر الا لأهـــل العلم أنهـم على الهـــدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهـــل العلم اعداء
ففز بعـــلم تعش حيـــا به أبدا الناس موتى وأهل العـلم أحياء

وقال ايضا ، وأشار الى صدره : ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة • وقد صدق رضى الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار •

وقال عمر رضى الله عنه : يأيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه • ولا عجب فبالعلم تحيا القلوب بنور الحكمة كما تحيا الارض بوابل السماء •

وقال بعض الحكماء : اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره • وقيل . كن عالما أو متعلما أومستعلما ولا تكن جاهلا فتهلك •

وقال الحسن رضى الله عنه : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم • وهو يقصد أنهم بالتعليم يخرجون النـاس من حد الحيوانية الى حـــد الانسانية •

وقيل : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء الضرء •• والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم • وبأجنحتها تمسحهم لان العلم حياة القلوب ونور الابصار ، به يبلغ الانسان منازل الابرار وبه يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه توصل الارحام ويلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء •

وقد خير حكيم من كبار الحكماء بين المال والملك والعلم •

فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم • وقد رأى ابن مسكويه والغزالى ــ وهما من علماء الاسلام ــ ان العلم غذاء للروح وغذاء للعقل وعد ابن خلدون العلم والتعليم طبيعيا فى العمران البشرى وقال : (ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته من الحس والحركة والغذاء • •وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر •• وعن هذا الفكر تنشـا العلوم والصناعات) •

وكان الخلفاء من المسلمين يجلون الادباء والعلماء ويغدقون عليهم المنح والعطايا ، ومما يدل على اجلالهم للعلم انهم يحثون أبناءهم على تلقيه ويرغبونهم فيه فهذا عبد الملك بن مروان يوصى ابنـــاءه فيقول : (يابنى تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنت وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم) ، فالتعليم فى نظره يجعل السادة فائقين ويصير المتوسطين ســادة ويمكن السوقة من كسب العيش والحياة ٠

وذاك مصعب بن الزبير يقول لابنه :تعلم العلم فان لم يكن لك جمال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا ٠ فالعلم زينة من لازينة له ومال من لامال له ٠

وذلكم الرشيد يعهد الى سيبويه بتأديب ابنه المأمون والى الاحمر وهو على بن الحسن بتأديب ابنه الامين ٠ ومن وصيته التى يجب على المربين أن يتخذوها نبراسا لهم فى تربية أبنائهم : (ياأحمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين ٠ أقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ٠ ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشـــدة والغلظة) وفى هذه الوصية تتمثل الحكمة وسداد الرأى فهى تشير الى منهج من أحسن المناهج الدراسية للمعـــاهد الثانوية فمن قراءة للقرآن الكريم الى دراسة للتاريخ والاخبار ، ومن رواية للادب والاشعار الى تعلم السنن ٠ ودراسة اللغة وبلاغتها ومن تربية دينية وأدبية وعلمية الى تربية خلقية واجتماعية ٠ وان الجزء الاخير من الوصية خير دستور فى المعاملة الطبيعية والعقوبة المدرسية حيث يقول : ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ٠ وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليـك بالشدة والغلظة ٠

وقد أفاض الحكماء والادباء والفلاسفة فى هذا السبيل ٠ فالغزالى يقول : (من أصاب علما فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضىء لنفسهـــا ولغيرها وهى مضيئة) وليس يغيب عن ذهننا ماقاله بعض حكماء الاسلام: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، اطلبوا العلم ولو بالصين) ٠

وقيل لأبى عمرو بن العلاء : (هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : (ان كان يحسن أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم) ، ولا شك أن الطفل أولى من الشيخ فى التعلم ٠

وقال الغزالى رحمه الله(١) العلم يقتنى كما يقتنى المال ٠٠ فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء ، فانه ٠٠٠ كالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولايعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل :

ماهو الا ذبالة وقدت تضىء للناس وهى تحترق

وقد قيل فى الاثر : تعلموا العلم فانه سبب الى الدين ومنبه للرجل ومؤنس للوحشة وصاحب فى الغربة ووصلة فى المجالس وجالب للمال وذريعة فى طلب الحاجة فآثار العلم انه يؤدى الى الدين اذا عمل به وينبه الانسان الى ماينفعه ومايضره ويؤنسه فى وحدته ووحشته ، ويكون صديقا له فى غربته ووصلة له فى المجالس والمنتديات ويجلب له المال ويكون وسيلة لطلب ما يحتاج اليه ٠ وهى فوائد جليلة وآثار عظيمة ٠

قال الشاعر :

يعد رفيع القوم من كان عالما وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعلمه وما عالم فى بلده بغريب

فالعالم ـ وان كان ذا أصل وضيع ـ يعد فى نظر الاسلام رفيعا حسيبا لان الدين الاسلامى لايفكر فى نسب أو حسب ولكنه يفكر فى علم وعمل وتقوى وطهارة ٠ واذا نزل بأرض استطاع أن يعيش فيها بعلمه وليس العالم غريبا فى أية بلدة من البلاد ، فالعلم أساس للنجاح فى هذه الحياة به يستطيع الفقير أن يصل الى أكبر مركز وأعلى منصب فى الدول الاسلامية ٠ فبالعلم والتعليم قلت الفروق الاجتماعية فى الاسلام وظهرت المساواة فى تكافؤ الفرص ولم يكن الفقر أو وضاعة النشأة عقبة فى الوصول الى المراتب السامية والمناصب العالية فى العالم الاسلامى لان الاسلام دين الديمقراطية الحقة والعدالة المطلقة والمساواة التامة ٠

ان الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى

فالمسلمون يحكم عليهم بعلمهم وعملهم لابمولدهم وعنصرهم وأصلهم

---

(١) ارجع الى الاحياء جـ ١ صفحة ٤٩ .

ولا تأثير للآباء والاجداد والاحساب والانساب والغنى والفقر فى الحصول على المراكز الرفيعة فى الاسلام · فالعدالة واجبة · ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح والكفاية العلمية والخلقية ·

ولا جدال فى أن التعليم حق من حقوق الانسان وضرورة من ضرورات الحياة كالماء والهواء والغذاء فاذا أراد أن يعيش ويحيا وجب عليه أن يتعلم ووجب علينا القيام بتعليمه ·

واذا المعارف أشرقت فى أمة نالت أمانيها بغير توان

فاذا انتشر التعليم فى أمة من الامم نالت أمانيها وحريتها واستقلالها وما استطاع مستعمر أن يقف فى سبيلها · فالتعليم أفضل شىء يملكه افضل الرجال ، وخير وسيلة للنهوض بالامم المتخلفة واحسن منحة يمكن أن تمنح · والجهل أس الرذائل · فحياة الجهل موت ·· والانسان فى حاجة الى العلم لان العلم وسيلة الحياة ·

لهذا كان علماء الاسلام يشجعون الطلاب على الدراسة والتعلم وجمع الحقائق واستنباط الآراء والافكار وتطبيقها عمليا ويحثونهم على الرحيل والسفر الطويل فى سبيل طلب العلم والمعرفة ·

لماذا أمر الدين الاسلامى بالتعليم ؟

لقد أمر الاسلام بالتعليم فى أول آية نزلت على الرسول الكريم لانه اول الواجبات واكبر وسيلة للرقى واصلاح العالم والشعوب اذا صحب العلم العمل به · قال الغزالى : لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لاتفيده الا بالعمل · ولو قرأت العلم مائة ألف سنة · وجمعت ألف كتاب لاتكون مستعدا لرحمة الله الا بالعمل فالغزالى لايكتفى بالعلم ولكنه يؤكد أهمية العمل بالعلم · ويبدو ذلك من قوله « النـاس كلهم هلكى الا العالمين · والعالمون كلهم هلكى الا العاملين · والعـاملون كلهم هلكى الا المخلصين » فهو يتطلب من المسلم أن يتعلم ويعمـل بما يعلم ويخلص فى عمله · ويقصد بالعمل صقل مرآة القلب عن قاذورات الدنيا وخبائث الاخلاق والتحلى بالاخلاق الحميدة من الصبر والشكر وحسـن الخلق وطيب المعاشرة والاخلاص والزهد والتقـوى واجتناب الصفات الذميمة من الجزع ونكران الجميـل والحسد والحقد والغش والفخر والخيلاء والكبر والرياء ··

وقد شعر فلاسفة الاسلام بأثر العمل فى تثبيت العلم وزيادة أثره

قال الرسول الكريم «وانما يزهد الرجل فى علم يعلم قلة انتفاعه بما علم» وقال النمرى القرطبى فى جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١١٨ أن عالما من المسلمين قال : (أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر) بمعنى أن الانسان ينوى التعلم ويقصده ثم يستمع لما يقوله العلماء ، ثم يفهم أقوالهم ثم يحفظها ثم يعمل بما تعلمه ثم ينشر ما تعلمه من الآراء والافكار بين الناس . وهذا هو المثل الأسمى فى التربية والتعليم .

ولسنا فى حاجة الى أن نذكر ثمرات العلم والتعليم ومضار الجهل والامية فمن المحال أن ترقى أمة من الامم الا بتعميم التعليم . ولا وسيلة لانقاذ الناس من شر الجهل والرذيلة الا بالعلم والعمل فالمدنية والحضارة والتقدم فى العلم والاختراع والابداع الذى نراه بأعيننا فى الامم الراقية نتيجة التربية العامة والتعليم المنتشر بين جميع الطبقات .

وينبغى أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله . وكل من تناول شيئا وقال للناس : لا تتناولوه فانه سم قاتل ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل الظل من العود . ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟ ولذلك قيل فى هذا المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» ؟ ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . ولذلك قال على كرم الله وجهه : قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالعالم يغر الناس بتهتكه والجاهل يغرهم بتنسكه . قال صلى الله عليه وسلم : (لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا) وقال أيضا : (من ازداد علما ولم يزدد هدى ، لم يزدد من الله الا بعدا) .

وقال عمر رضى الله عنه : ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟

قال : عليم اللسان ، جاهل القلب والعمل .

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبى هريرة رضى الله

عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه • فقال : كفى بترك العلم اضاعة له •

وقال تعالى : «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون» • وقال ابو الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن لايعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات • وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال : حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنا ندرس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا ، فالدين الاسلامى يأمر بطلب العلم والعمل بما نعلم • فالعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر •

قال الشاعر :

يا واعظالناس قد أصبحت متهما ... اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى انت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وانت أكثر منهم رغبة فيها

وقد قيل : لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم • ومثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت : فكذلك من لايعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الاشهاد •

كثيرا مانسمع نقدا مرا عن انتشار أمراض البلهارسيا والانكلستوما فى البلاد ، وكثرة السائلين والعجزة وفاقدى البصر حتى بلغت نسبة فقد البصر عندنا أكثر من أية نسبة فى العالم ونسمع أيضا عن فساد الاخلاق وكثرة الحوادث والجرائم • ولو علمنا الامة تعليما حقا لارتفع المستوى الصحى والخلقى والاجتماعى • وقد أحسنت وزارة التربية والتعليم فى جعلها التعليم الاعدادى والثانوى بالمجان حتى يشمل الفقراء والاغنياء ولا يحرم أحد التعليم بسبب الفقر • ومن الواجب أن نعلم كل فرد فى الجمهورية العربية المتحدة ويتعلم كل شخص فى العالم الاسلامى والعالم العربى فان العلم سبيل الحرية والغنى والرقى والنهضة •

يجب أن نعلم الامة حتى يقل الفقراء منها ولا نسمح للاطفال بالعمل الا بعد التعليم • يجب أن نعلمهم حتى نعدهم للكسب ولحياة أحسن من الحياة التى يعيشونها غير متعلمين • يجب أن نعلمهم التعليم النظرى أولا ثم الصناعى أو الزراعى أو التجارى ثانيا ونبحث لهم عن عمل يسيرون فيه بعد معرفتهم حرفة من الحرف ، أو صناعة من الصناعات حتى نقضى على

الجهل والفقر والمرض ولا يقبر ذكاء فرد واحد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة .

انكم ان فعلتم ذلك نشأ الجيل الجديد نشأه صالحة فسلم جسمه وحصف عقله وكمل خلقه واستطاع أن يحقق لأمته ماتصبوا اليه نفسها من مجد مؤثل وعزة خالدة .

ولكى تعيد البلاد الاسلامية والعربية والشرقية مجدها القديم وعظمتها السالفة يجب أن تعمل على نشر التعليم وتعميمه بها فالجهل علة العلل وهو السبب الاول فى التخلف عن الايام الاولى أيام المجد والعظمة . والتعليم هو الوسيلة للرقى فى كل ناحية من النواحي والاسلام دين العلم والنور ولا عيب فى الاسلام ، فالاسلام يطالب بتعليم الرجل وتعليم المرأة. وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما يقول الرسول الكريم فمتى يأتى اليوم الذى يعمم فيه التعليم فى العالم الاسلامى كله ؟ ومتى نقضى على الجهل والامية ؟ ومتى نحتفل بدفن آخر أمى من الجمهورية العربية المتحدة والوطن العربى .